

أضواء البيان

@ 364 دُونَ اللّٰهَ إِِنَّ أَرَادَنِيَ اللّٰهَ يُضْرِبُ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ
ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُّسْكِكَاتٌ رَّحِمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ
اللّٰهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ * قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَىٰ
مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ
وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ * إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّٰ فَاِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِرَٰحِلٍ * اللّٰهُ يَتَوَفَّى الْاَلُفَّ نَفْسَ حَرِيْنٍ
مَّوْتِيهَا وَاللّٰتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهِهَا
الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْاَلَّ خَرَىٰ اِلَىٰ اَجَلٍ مُّسَمًّى اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * اَمْ اَتَّخَذُواْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ شُفَعَاءَ قُلْ
اَوْلَوْ كَانُواْ لَآ يَمْلِكُوْنَ شَيْئًا وَّلَا يَعْقِلُوْنَ * قُلْ لِلّٰهِ
الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لّٰهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضِ ثُمَّ اِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ * وَاِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوْبُ الّٰذِيْنَ لَآ
يُؤْمِنُوْنَ بِالْاٰلِ الْخَيْرَةِ وَاِذَا ذُكِرَ الّٰذِيْنَ مِنْ دُونِهِ اِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ * قُلِ اللّٰهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضِ رَضِ عَالِمِ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ اَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيْ مَا كَانُواْ فِيْهِ
يَخْتَلِفُونَ * وَاَوْلَوْ اَنَّ لِلّٰذِيْنَ ظَلَمُواْ مَا فِي الْاَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْاْ بِهٖ مِنْ سُوْءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَبَدَا لَهُمْ مِّنَ اللّٰهِ مَا لَمْ يَكُوْنُواْ يَحْتَسِبُونَ * وَبَدَا لَهُمْ
سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُواْ بِهٖ يَسْتَهْزِءُونَ * فَاِذَا
مَسَّ الْاِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ اِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ
اِنَّمَا اُوْتِيْتُهُ عَلٰى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَّلَا كُنَّ اَكْثَرَهُمْ لَآ
يَعْلَمُونَ * قَدْ قَالَهَا الّٰذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا اَعْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا
كَانُواْ يَكْسِبُونَ * فَاَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَالّٰذِيْنَ ظَلَمُواْ
مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِيْنَ *
اَوْلَمْ يَعْلَمُواْ اَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * قُلْ يَا عِبَادِيَ الّٰذِيْنَ

أَسْرَفُوا وَعَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۗ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ
يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنْزِلُوا
إِلَىٰ رَبِّكُمْ ۗ وَأَسْلِمُوا لَهُ ۗ مِن قَبْلِ أَن يُأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا
تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ مَن
قَبِلَ أَن يُأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ
نَفْسُ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ۗ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ
السَّالِفِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ
* أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَىٰ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِن
الْمُحْسِنِينَ * بَلَىٰ قَدْ جَاءتَكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ
وَكَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى
اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مَّسْوَدَّةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ
* وَيُنذِرَ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ بِمَفَازَتِهِمْ ۗ لَا يَمَسُّهُمُْ السُّوءُ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
وَكَيلٌ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * قُلْ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ
تَأْمُرُونَ أَعْيُودُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى
الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتُم بِلَهِ جِبَاطِنَ ۗ عَمَلِكُمْ ۗ وَلَتَكُونَنَّ
مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ فَعَّاءٌ ۗ وَيُغَيِّرُ مَن يَشَاءُ كَرِيمٌ *
اللَّهُ حَقُّ ۗ قَدْرِهِ ۗ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبِيضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
* وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا
مَن شَاءَ اللَّهُ ۗ ثُمَّ ۗ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ ۗ قِيَامٌ ۗ يَنْظُرُونَ *
وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ
بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ۗ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
* وَوُفِّيَتِ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمَلَتْ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۗ { 7 !
قوله تعالى : { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۗ } . قد قدمنا الآيات الموضحة له في
سورة الأنفال ، في الكلام على قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ۗ حَسْبُكَ اللَّهُ ۗ
وَمَن اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } وعلى قراءة الجمهور بكاف عبده ، بفتح العين
وسكون الباء ، بإفراد العبد ، والمراد به ، النبي صلى الله عليه وسلم . كقوله : {
فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۗ } وقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ۗ حَسْبُكَ اللَّهُ ۗ

وأما على قراءة حمزة والكسائي عِبَادَهُ بِكسر العين وفتح الباء بعدها ألف على أنه جمع عبد ، فالظاهر أنه يشمل عباده الصالحين من الأنبياء وأتباعهم . قوله تعالى : { وَيُخَوِّفُونَ فُؤُوكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة ، أن الكفار عبدة الأوثان ، يخوفون النبي صلى الله عليه وسلم ، بالأوثان التي يعبدونها من دون الله ، لأنهم يقولون له : إنها ستضره وتخبله ، وهذه عادة عبدة الأوثان لعنهم الله ، يخوفون الرسل بالأوثان ويزعمون أنها ستضرهم وتصل إليهم بالسوء . .

ومعلوم أن أنبياء الله عليهم صلوات الله وسلامه ، لا يخافون غير الله ولا سيما الأوثان ، التي لا تسمع ولا تبصر ، ولا تضر ولا تنفع ، ولذا قال تعالى عن نبيه إبراهيم لما خوّفوه بها { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْإِلْمِ } . .

وقال عن نبيه هود وما ذكره له قومه من ذلك { إِنَّ زَيْقُولُ إِلَّا - اءْتَرَكَ - بَعْضُ الْعَالِيَيْنَا بِسُوءٍ قَالَ - إِنَّ زَيْقُولُ أَشْهَدُ بِاللَّهِ وَاشْهَدُوا - أَنْ زَيْقُولُ بَرِّرٌ مِّمَّا تَشْرِكُونَ - مِن دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ - لَا تَنْظُرُونَ - إِنَّ زَيْقُولُ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ - رَبِّي وَرَبِّكُمْ - مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا - إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } . .

وقال تعالى في هذه السورة الكريمة ، مخاطباً نبينا صلى الله عليه وسلم ، بعد أن ذكر تخويفهم له بأصنامهم { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ رَضُوا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قَوْلُ أَفَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ - إِنَّ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ - أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ - قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ } . .

ومعلوم أن الخوف من تلك الأصنام من أشنع أنواع الكفر والإشراك بالله . . وقد بين جل وعلا في موضع آخر ، أن الشيطان يخوف المؤمنين أيضاً ، الذين هم أتباع الرسل من أتباعه وأوليائه من الكفار ، كما قال تعالى : { إِنَّ زَيْمًا ذَالِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ - فَلَا تَخَافُوهُمْ - وَخَافُونَ - إِنَّ كُنْتُمْ مِّمَّنْ وَّؤْمِنِينَ } . . والأظهر أن قوله { يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ } حذف فيه المفعول الأول ، أي يخوفكم أوليائه ، بدليل قوله بعده : { فَلَا تَخَافُوهُمْ - وَخَافُونَ } . قوله تعالى : { قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ - إِنَّ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ

هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمَسِكَاتُ رَحْمَتِهِ } . ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أن المعبودات من دونه ، لا تقدر أن تكشف ضراا أراد ا به أحدا ، أو تمسك رحمة أراد بها أحدا ، جاء موضحا في آيات كثيرة ، كقوله تعالى : { لِمَ تَعْبُدُونَ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا } وقوله تعالى : { قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ } . وقوله تعالى : { مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } وقوله تعالى { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } ، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة . قوله تعالى : { وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِدَّهُ أَشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ السَّادِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَخِرَّةٍ وَإِذَا ذُكِرَ السَّادِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ } . قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الصافات ، في الكلام على قوله تعالى { إِنَّ زَنْدًا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ } . قوله تعالى : { وَلَوْ أَنْ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ